IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies

Volume 1 - Issue 1, January - June 2024
مجلد 1 - عدد 1، يناير – يونيو 2024

التجربة اليابانية: دراسة في أسس النموذج النهضوي

الدكتور سلمان بونعمان

مراجعة: الدكتور سمير الساعيدي
باحث في علم الاجتماع، المغرب
مهتم بمجال الدراسات الإثنية والتنمية
d.saidisamir@gmail.com

IJTIHAD CENTER
FOR STUDIES AND TRAINING

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 11 يناير 2024
تاريخ التعديل: 23 فبراير 2024
تاريخ القبول: 15 مارس 2024
المعرف الرقمي: DOI: 10.5281/zenodo.12549300

الملخص:

يُعد كتاب "التجربة اليابانية، دراسة في أسس النموذج النهضوي" أحد الكتب العربية التي تناولت - بالوصف والتحليل- نموذج النهضة في اليابان، وهو من تأليف الباحث المغربي سلمان بونعمان. ويندرج ضمن سلسلة "تجارب" التي أطلقها مركز نماء للبحوث والدراسات لمحاولة التعرف على الدروس والعبر المستفادة من تجارب النهضة حول العالم، والتي صنّفت بـ"الناجحة" لما حققته من نتائج تنموية - كمّا وكيفا- والتي أرخت بظلالها على الانسان والمجال، وفتحت طريقا للتطور والتقدم.

ومن أهم الدروس المستفادة من هذا الكتاب أن تجربة النهضة في اليابان انبثقت من وجود بذور النهوض في تاريخ وثقافة هذا البلد كأمة طموحة يتعزز موقعها بين الأمم ليس فقط بكمّ الإنجازات المادية التي حققتها أو ساهمت في تحقيقها، بل أيضا بالاعتزاز بهويتها ورموزها الثقافية فانفتحت في حدود ما أفادها على الحضارات والثقافات الخارجية، فانتقت النافع ودفعت عنها الضار صونا لهويتها وتحصينا لقيمها ورموزها من الاغتراب الثقافي والغرق في التقليد.

الكلمات المفتاحية:

النهضة؛ التنمية؛ ثورة الميجي؛ القدرة الحضارية؛ التمكن الحضاري.

The Japanese Experience: A Study in the Foundations of the Renaissance Model

Dr. Salmane Bounaamane

Reviewed by: Dr. Samir SAIDI
Researcher in Sociology, Morocco
Expert in the Field of Ethnic and Development Studies
d.saidisamir@gmail.com

IJTIHAD CENTER
FOR STUDIES AND TRAINING

OPEN ACCESS
Date received: Jan 11, 2024
Date revised: Feb 23, 2024
Date accepted: Mar 15, 2024
DOI: 10.5281/zenodo.12549300

ABSTRACT

The book "The Japanese Experience (A Study of the Foundations of the Renaissance Model)" is one of the Arabic works that explores through description and analysis the Renaissance model in Japan. Authored by Moroccan researcher Salmane Bounaamane, it is part of a series of "experiments" launched by the Nama Center for Research and Studies. The series aims to identify the lessons learned from successful Renaissance experiences around the world, which have yielded substantial development results, both quantitatively and qualitatively. These results have profoundly impacted humans society, and paved the way for further development and progress. A key lessons learned from this book is that the Renaissance experience in Japan emerged from inherent seeds of progress within the country's history and culture. Japan is depicted as an ambitious nation that not only prides itself on its material achievements, but also its cultural identity and symbols. The book highlights Japan's selective openness, to foreign civilizations and cultures, adopting elements that benefit its national agenda while discarding those that do not, thus safeguarding its identity and preserving its values against cultural alienation and the pitfalls of obsolete tradition.

KEYWORDS:

Renaissance; Development; Meiji Revolution; Civilizational Capacity.

تقديم[1]

استُهِلَّ الكتاب بمدخل عام امتد من الصفحة 9 إلى الصفحة 36، أي ما يزيد عن 25 صفحة، وأُتْبع بفصل أوّل بعنوان: إرهاصات النهضة اليابانية من الصفحة 37 إلى الصفحة 76 بمعدل 39 صفحة، وتضمن مبحثين، الأول بعنوان "جدلية الانفتاح والانغلاق في الثقافة اليابانية" من الصفحة 57 إلى الصفحة 62 أي بمعدل خمس صفحات فقط، والثاني بعنوان: "دور العزلة الطوعية في نهضة اليابان" ويمتد من الصفحة 63 إلى 75 بمعدل 12 صفحة.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان "أسس النهضة اليابانية (ثورة الإصلاحات في عهد الميجي) وامتد من الصفحة 77 إلى 140 بمعدل 63 صفحة، ويضم ثلاثة مباحث؛ أوّلها: "المعرفة أساس النهضة والتطور من الصفحة 93 إلى 112 بمعدل 19 صفحة، والثاني: "منهج استنبات التكنولوجيا والاستفادة من الغرب" من الصفحة 113 إلى 122 بمعدل 9 صفحات. والثالث: " الانسان الياباني؛ فاعلا في النهضة وحاملا للمعنى" من الصفحة 123 إلى 140 بمعدل 17 صفحة. بينما جاء الفصل الثالث بعنوان: "رهانات التفكير في النموذج الياباني" من الصفحة 141 إلى 174 بمعدل 33 صفحة، وتضمن مبحثا أسماه المؤلف: "آفاق التفكير في النموذج النهضوي" قبل أن يذيله بخاتمة تحليلية تمتد من الصفحة 175 إلى الصفحة 197 بمعدل؛ 22صفحة.

ويتضح من التصميم أن الباحث ركز -في وصفه وتحليله- على الفصل الثاني المتعلق بثورة الميجي، إذ احتل نصيب الأسد من الكتاب بمعدل يزيد عن الثلث. وهو مؤشر واضح على أن ثورة الميجي شكلت أسّ الصعود والنّهوض، على الرغم من تجذر فلسفة الإصلاح ومناخ إرادة النهوض والتغيير قبل قرون من عصره.

فما أهم المشيرات الطافحة في عنوان الكتاب وفي محاوره الرئيسة؟ وما أبرز الأسئلة التي تتخلله؟ ما أهم مضامين الكتاب وأفكاره؟ وما القيمة المضافة التي يمكن أن يقدمها هذا العمل لدول العالم الثالث بشكل عام وللمجتمع العربي - الإسلامي بشكل أخص؟

---

[1] **To cite this article:**

SAIDI, Samir, Review of Salmane Bounaamane's Book: The Japanese Experience: A Study in the Foundations of the Renaissance Model, Ijtihad Center for Studies and Training, Belgium, Vol. 1, Issue 1, June 2024, 305-318.

سمير الساعيدي، مراجعة لكتاب سلمان بونعمان: التجربة اليابانية دراسة في أسس النموذج النهضوي، مركز اجتهاد للدراسات والتكوين، بلجيكا، مج. 1، ع. 1، يونيو 2024، 305-318.

1- فرضيات وأسئلة ما قبل القراءة

نفترض أن أهم ما يمكن أن يتبادر إلى ذهن القارئ عند قراءة عنوان الكتاب هو النجاح التنموي الملحوظ الذي تمثله التجربة اليابانية التي شهدت رغم معوقات وعورة جغرافيتها وندرة مواردها الطبيعية نهضة حقيقية في كافة المجالات حتى أصبحت دولة مزدهرة تنموياً.

ولعل الغرض من تحليل عنوان هذا الكتاب "التجربة اليابانية دراسة في أسس النموذج النهضوي" هو الافتراض بأن التجربة التي كان المقصود منها أن تكون محور محتوى هذا العمل كانت مبنية على أسس محددة، لكن الأسئلة تدور حول طبيعة هذه "الأسس" ومنطلقاتها وأصولها الذاتية والموضوعية، ورجالها، وفلسفاتها، والظروف العامة التي أحاطت بها.

وتصبح الأسئلة أعمق عند ملاحظة تصميم الكتاب وفصوله الرئيسة، مثل الفصل الأول الذي يحمل عنوان؛ "إرهاصات النهضة اليابانية" والذي يشير إلى أن الباحث أعاد فكرة النهضة اليابانية إلى جذورها المعبدة، أو -على الأقل- إلى العوامل الأولى (الإرهاصات) التي أدّت إلى حدوث "النهضة"، ولذلك نسائل هذا الفصل؛ ما طبيعة بوادر النهضة اليابانية؟ إلى أي فترة تاريخية تنتمي؟ بأي معنى يمكن القول أنها تمثل الأرضية التي نشأت منها/ أو نهضت منها اليابان؟

تثير موضوعات هذا الفصل بدورها عدة أسئلة: هل اليابان مجتمع منفتح أم منغلق؟ أم أنها دولة تقع سياستها بين جدليتي: الانفتاح والانغلاق؟ ثم، ما الذي دفع الباحث إلى تسمية المبحث الثاني من الفصل الأول ب: "دور العزلة الطوعية في نهضة اليابان"، وهل يمكن للعزلة أن تلعب دورا حقيقيا في نهضة بلد ما؟ ولئن اختارت اليابان العزلة، فما السياق العام الذي فرض عليها هذا الاختيار؟ ثمَّ العزلة؛ كتحصين للذات ضد من؟ في أي سياق أثير الحديث عن العزلة الطوعية لهذا البلد؟ ما الضوابط المفروضة لتطبيق سياسة العزل والتحصين الذاتي؟

ولا يقل الفصل الثاني الذي يحمل عنوان "أسس النهضة اليابانية ثورة الإصلاحات في عهد الميجي" عن سابقه، ليس فقط من حيث زخم الأسئلة التي يثيرها، ولكن أيضا في المشيرات التي يحملها: ما طبيعة الأسس التي ارتكز عليها البناء النهضوي الياباني؟ ولماذا وصفت إصلاحات الميجي بالـ "ثورية"؟ ما الذي ميّز الميجي عن غيره حتى أصبح "أيقونة" في تاريخ نهضة الأمة اليابانية؟ ما السياق العام الذي حكم فلسفته الإصلاحية المفترضة؟ ثم، هل انطلق من الإرهاصات التي من المفترض أن يكون الفصل الأول قد أشار إليها؟، أم أنه بنى نموذجا إصلاحيا قائما على عناصر أخرى يملها سياقه الزمني (القرن التاسع عشر) دون الاعتماد على تاريخ البلاد وقيمها وتقاليدها؟

وبالعودة إلى المباحث التي تناولها الفصل الثاني، فإننا نتساءل عن دور المعرفة في نهضة الدولة اليابانية وتطورها؛ وعن طبيعة المعرفة التي كانت سائدة في ذلك الوقت؟ فهل هي معرفة أحادية الاتجاه أم منظومة معارف شاملة وعامة تجسّد مقومات النهوض والارتقاء؟ وعند الإشارة إلى المبحث الثاني من هذا الفصل، والذي أطلق عليه الباحث عنوان: "منهج استنبات التكنولوجيا والاستفادة من الغرب" فإنه يعطينا فكرة مركزية ترتكز على حقيقة استفادة اليابان من الغرب "المتقدم" في المجال التكنولوجي، لكن الاستفادة لم تتوقف عند عتبة النقل الساذج أو الاستهلاك المباشر للمنتجات الغربية، لأن لفظة "استنبات" تُشير إلى إعادة "زراعة" التكنولوجيا على أرض اليابان والجهد المبذول لتطويعها لتحمل هوية يابانية، لا ريب أن هذه الفرضية تقودنا إلى التساؤل عن طبيعة الفكر الإصلاحي الذي امتلك هذه الرؤية" التبييئية " للتكنولوجيا الغربية، ونتساءل كذلك عن مدى نجاح اليابان في مساعيها تلك؟ ويقودنا المحور الثالث من هذا الفصل إلى التساؤل عن دور اليابانيين في نهضة مجتمعهم، لاسيما أن عنوانه يجعل الإنسان فاعلا رئيسا في النهضة وحاملا للمعنى فيها.

أما الفصل الثالث : "رهانات التفكير في النموذج الياباني" فله دلالات عديدة ويشير إلى شكل من أشكال التقييم الشامل والاستنتاج العام حول التجربة اليابانية؛ لاسيما وأن عنوان أحد مباحث هذا الفصل يشير إلى؛ موضوع الوعي الحضاري بشروط النهضة ، وهو موضوع يدل على أن للنهضة وعي أو فلسفة تؤسس لها، وهو افتراض زكّاه المبحث الثاني من هذا الفصل، الذي أشار إلى الثقافة والقيم في معركة النهوض، قبل أن يُختتم الكتاب بالعنوان: "آفاق التفكير في النموذج النهضوي" الذي يشير إلى مناقشة عامة للتجربة اليابانية ومحاولة مقارنة نجاحها بالواقع المجتمعي والثقافي المعاش في الدول العربية والإسلامية التي يتنفس الباحث هواءها.

وبشكل عام، فإن الفرضيات التي شكلتها الملاحظة الفائضة للمشيرات الطافحة على الكتاب، والقراءة الأولية لتصميمه وتوزيع فصوله ومباحثه الأساسية والفرعية تسمح لنا بإثارة عدد من الأسئلة: هل تستحق هذ التجربة أن تكون نموذجا يُحتذى بها في التنمية؟ هل هي تجربة ناجحة بكل المقاييس فعلا؟ أم لها ما لها وعليها ما عليها؟

2- في أهم مضامين الكتاب

أعاد الباحث في مدخل هذا الكتاب طرح السؤال القديم والمتجدّد: لماذا تخلف العرب وتقدّم غيرهم؟ ليعيد تقييم حركات النهضة العربية التي تباينت مواقفها بين من استخف بهذه الذات وبين من اعتز بمكانتها من خلال إبراز أُصولها التراثية والأخلاقية وإنجازاتها العلمية، لكن غالبية رواد النهضة؛ -

وبحسب الباحث- سعوا إلى أنموذج الأمّة اليابانية من خلال؛ نجاح بعثاتها العلمية وبروز قوتها العسكرية والاقتصادية والسياسية، لاسيما خلال فترة حكم الميجي التي تميزت بقدرة الدولة على استيعاب المعرفة والعلوم الحديثة بسرعة، ومع ذلك، فإن نهضة اليابان لم تبدأ مع فترة الميجي في القرن التاسع عشر، بل "استندت على خلفية فكرية عميقة وطويلة بدأت منذ القرن السادس عشر" (بونعمان، 2014، ص 14)

وتحدّث الباحث عن الكتابات المختلفة التي تناولت التجربة اليابانية ونقدتها، وصَـنّف مقارباتها بين انبهارية؛ ترى فيما حققته اليابان معجزة خارقة، ورأى أن مثل هذه المقاربات غالبا ما تفتقر إلى الشـروط العلمية التي تتطلب أن "لا يُظهر الباحث أي إعجاب بأي تجربة تحديث في العالم، ولا يدعو إلى تبني أيّ من مقولاتها.."[1] فمثل هذه المواقف الانبهارية المتسـرعة ليسـت سـوى مُوضـة افتتان تفتقر إلى الغوص العميق في الخلفيات التاريخية التي أنتجتها. وهناك – بالإضـافة إلى المقاربات الانبهارية- مقاربات أخرى تسمى "التبسيطية الاختزالية"، يتصوّر أنصارها أن مأزق التحديث في المجالات العربية يرجع بالأساس إلى "ضعف التكوين العلمي والتقني الذي يُعد شرط اللحاق بالأمم المتقدمة." (بونعمان، 2014، ص 22).

بعد أن اسـتعرض أهم الأدبيات التي تناولت النهضـة اليابانية ورفض المقاربتين - الانبهارية والتجزيئية- دعا الباحث إلى نموذج أكثر تفسيرية لهذه التجربة، وهو ما أسماه؛ "المقاربة الحضارية المركبة النسبية" (بونعمان، 2014، ص 24)[2] للوصـول إلى فهم تفسـيري لنهضـة هذا البلد بوصـفها نهضـة جماعية مبنية على فلسـفة إصـلاحية راسـخة تمتد - على الأقل - إلى القرن السـابع عشـر، ويقترح هذا النهج مفهومين أسـاسـيين: "مفهوم القدرة الحضـارية" أي امتلاك الأمة لخميرة النهوض (الدافعية والوعي والطاقات البشرية...) ثم مفهوم؛ "التمكن الحضاري" الذي يشير إلى التحقق الفعلي لأدوات التنمية ووسائلها. وأبرز ما يميز هذه الأمة من خصـائص جعلت نموذجها فريدا ومتميزا، وتمَثّل في نظره في تلك "الروح الإبداعية والنفس التجديدي والعقلية الثورية التي تميزت بها حركة النهضـة اليابانية من خلال النموذج النهضـوي القائم على ما يسمى "اليَبْنَنَة japanisation." (بونعمان، 2014، ص 25).

وفي الفصل الأول للكتاب رأى الباحث أن؛ حركة الإصلاح التي قادها الميجي في القرن التاسع عشر ما هي إلا؛ "ثمرة مقدمات طويلة راكمتها النهضـة" حيث أعادنا إلى فترة توكوغاوا (بونعمان، 2014، ص 37) في القرن السـادس عشـر، التي شـهدت دينامية اقتصـادية وثقافية، بسـبب الاسـتراتيجيات "الناجحة" التي نفذتها هذه الأسرة الحاكمة وقتها من أجل تحصين الذات اليابانية من التنصير، لذلك تم طرد المبشرين،

[1] نفسه، ص 22

[2] نفسه، ص 31

وتم الاهتمام بالاقتصـــاد الياباني وتطوير البنية التحتية، وإحاطة الثقافة الشـــعبية والفولكلور الياباني بالعناية.

كما ظهرت فئة اجتماعية متميزة من التجّار والصّناع، عُرفت في التاريخ الياباني بمصـطلح "تشُـونِنْ"، وكانوا يهتمون بالفن، والموسـيقى، والشـعر، والفن التشـكيلي، والتفتح الثقافي، والمصـارعة... وشـهد عهد حكم أســرة توكوغاوا اهتماما متزايدا بالتعليم والمعرفة، فظهرت مدارس "التيراكوريا"،(بونعمان، 2014، ص 46) ودُور النشر، وتم توفير بيئة قارئة ممّا سهّل في المراحل القادمة استنساخ المعارف الغربية وإعادة تكييفها وإدماجها، لاسيما أن حركة الترجمة شهدت هي الأخرى نشاطا كثيفا، وأُسِّست لها معاهد خاصة، وانتشـرت تعاليم الكونفشـيوسـية والبوذية في جميع أنحاء اليابان ولم تضـق بهما الأسـرة الحاكمة ذرعا. كما تمّ الاهتمام أيضا بالتكوين العسكري، وفي خضم هذه الإصلاحات المبكرة ظهرت بعض الحركات مثل حركة "مُحبي اليابان" أو واكاكوشا waga kusha يمثلون؛ مجموعة من الإصلاحيين طوال فترة توكوغاوا، تعاليمهم مسـتمدة من مبادئ "الشِّـنتو" shinto التي تمجّد الأرض اليابانية، وتقدس الامبراطور إلى درجة تأليهه.

تميزت اليابان بكونها دولة منفتحة على العالم الغربي في حدود ما ينفعها، ولكن عندما شـــعرت أن التغريب يُهدّد كينونتها وشـخصـيّتها الحضـارية؛ اختارت طواعية العزلة عن العالم الخارجي خلال الفترة (1637 – 1753) ممّا أتاح لها تطوير قِواها الذاتية ووحدتها القومية وثقافتها الخاصـــة، فولّدت العزلة الانسـجام بين مكونات المجتمع الياباني، بينما شـكل النقص الحاصـل في الموارد الطبيعية دورا رئيسـيا في التوجه نحو الاسـتثمار في الإنسـان "بوصـفه القاعدة الصـلبة لكل إصـلاح وتغيير إيجابي يهدف إلى تجاوز الفجوة الحضارية مع الغرب" (بونعمان، 2014، ص 70).

تم اسـتهداف العنصـر البشـري من قبل الجهاز البيروقراطي الحاكم (الشـونغون) للبحث عن الكفاءات الشـخصـية ووضـع الشـخص المناسـب في مكانه المناسـب لزيادة نجاعة الأداء في المؤسـسـات والأدوار والوظائف، وتمّ تخليق الحياة السـياسـية، لاسـيما بعد القطيعة مع المحســوبية والزبونية، كما ظهرت خلال فترة العزلة الطوعية في اليابان؛ "حركة الدراســات القومية" وكان من أبرز أهدافها؛ تنقية اللغة اليابانية من المفردات الدخيلة، والاهتمام بكلاسـيكيات الأدب المحلي، وإذكاء الروح القومية لدى المواطنين، وذلك برفع شـــعارات من قبيل؛ "الشـــعب الياباني ســـليل للآلهة التي خلقت الكون "،"البيت الإمبراطوري من ســـليل آلهة الشـــمس..." (بونعمان، 2014، ص 73). وانغرســـت هذه المقولات في أذهان الناس حتى آمنوا بها.

ويتناول الفصل الثاني من الكتاب "أسس النهضة اليابانية ثورة الإصلاحات في عهد الميجي" وتحدث فيه الباحث عن التحديات التي واجهت هذه الأمة، لاسيما في الفترة؛ (1853 – 1867) التي كانت تعتبر الأخطر في تاريخ اليابان الحديث، في ظل الضغوط التي تتعرض لها البلاد من القوى الاستعمارية العظمى، وتحديدا من الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أن "الكوموندور الأمريكي بيري وجّه إنذارا إلى اليابانيين بتاريخ 14 تموز 1853 قضى بفتح الموانئ اليابانية فوراً أمام الملاحة الدولية، سِلما أو بالقوة" فواجه الشوغون وقتها موقفين كلاهما مُرّ؛ إما انتصار لكرامة الأمة اليابانية وإعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية، أو أنه سيتعرض لغضب الشعب إذا امتثل لأوامر أمريكا وانصاع لها، ولكن اختار الشوغون في النهاية الانصياع لأوامر الولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة لذلك؛ أبرمت اليابان مجموعة من الاتفاقيات المجحفة والمذلة، وظهرت في خضم ذلك تمرُّدات داخلية ثائرة ضد سلطة الشوغون، الذي أعلن أمام الإمبراطور وأمام الشعب عدم كفاءته، وبالتالي تنازل سلميا عن الحكم للإمبراطور سنة 1868 (بونعمان، 2014، ص 78).

وفي مواجهة الظروف الصعبة التي مرت بها اليابان خلال القرن التاسع عشر، تحركت "الآلة الفكرية" لهذا البلد من خلال مشاركة المثقفين في مناقشة القضايا العامة والمصيرية لـ"الوطن" لتجنيب بلادهم الاستسلام والرضوخ للقوى الغربية، و"اختار اليابانيون تصليب الجبهة الداخلية وتماسكها بحيث تعجز القوى الأجنبية على اختراقها"(بونعمان، 2014، ص 78)، وانتهت عزلة حكم أسرة توكوغاوا بسلام، كما تم الالتفاف بقوة حول الامبراطور الميجي والانخراط الجاد معه في بناء مجتمع حديث قادر على المجابهة على جميع المستويات (العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، إلخ).

ومن الشعارات التي رفعت في هذه المرحلة: "المجد للإمبراطور، وليطرد البرابرة" (بونعمان، 2014، ص 81). وفي هذا السياق، وصل الفتى موتسوهيتو Mutsuhito (1852 – 1912) إلى السلطة في الأيام الأخيرة من عام 1867 ولُقّب بالميجي Meiji أي؛ المصلح المتنور أو صاحب السلطة العادل. ويرى الباحث أن إصلاحات الميجي يمكن اعتبارها إعادة لمركزية اليابان بقيادة الإمبراطور بدل الشوغون" حيث تميزت فترة حكمه بإصلاحات مهمّة مسّت جوانب مُتعددة كالسلطة (تبني المقاربة التشاركية في اتخاذ القرارات)، والمساواة بين اليابانيين على الرغم من الحفاظ على التسلسل الهرمي الاجتماعي(بونعمان، 2014، ص 84). (لا فرق بين الأعلى والأدنى) والعسكرية (السعي لتوحيد السلطتين العسكرية والمدنية)، وأكثر من ذلك في مجال التعليم (السعي لاكتساب التعليم والتكنولوجيا الحديثة من أي مكان في العالم واستخدامها لبناء ركائز الإمبراطورية اليابانية).

وقدم الباحث وصفا لمجموعة من التدخلات التي حدثت في عهد الميجي، مثل؛ إلغاء المقاطعات لصالح ظهور البرلمان (الدّايت)، وإصدار قانون بفرض إلزامية التعليم، كما أشار إلى الدور المهم الذي لعبته فئة الساموراي، التي تتمتع بخبرة كبيرة في الجيش والإدارة والاقتصاد، ركز دعاة الإصلاح في اليابان على ثلاثة محاور رئيسية؛ الأول هو بناء جيش حديث جرار، والثاني إحداث تغيير جذري في قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، والثالث هو الحفاظ على الهوية اليابانية. (بونعمان، 2014، ص 90).وكان شعار النهضة في ذلك الوقت "التكتيك غربي والروح يابانية" وظهرت "الكوكوتاي" وهي حركة إيديولوجية قومية سعت إلى ترسيخ الروح القومية في المجتمع الياباني.

وانتقل الباحث للحديث عن المعرفة كأساس للنهضة والتحرر؛ مثّل الرهان على الجانب المعرفي في البناء الحضاري أحد المرتكزات الأولى لنهضة اليابان في عصر الميجي، حيث سخّرت الدولة كل الوسائل الممكنة من أجل تحسين جودة التعليم، لذلك "استعانت في البداية بالأطر الأجنبية والتدريس باللغات الأجنبية لكنها سرعان ما أحلّت المدرس الياباني محلّ الأجنبي واللغة اليابانية محلّ اللغة الأجنبية في لغة التدريس"(بونعمان، 2014، ص 101). وتمّ وضع البنيان التربوي بأكمله منذ سنة 1886 ثم شُرع في تفعيله من خلال تخطيط المدارس وإدخال مقرر التربية الأخلاقية تحت مسمى الشوشين shushin (بونعمان، 2014، ص 96) .وهكذا كانت السياسة التعليمية والتربوية نشطة بشكل مكثف في عهد الميجي وشدّدت إيديولوجيتها على ترسيخ الروح القومية في المجتمع، وتمجيد الإمبراطور، والحفاظ على الهوية، ورفع شعار: " لن يكون هناك طفل جاهل، أو أسرة جاهلة أو قرية جاهلة في جميع أرجاء اليابان" (بونعمان، 2014، ص 97).

وتحدّث الباحث - كذلك- في الفصل الثاني عن طريقة استنبات التكنولوجية والاستفادة من الغرب، حيث عمل اليابانيون على الاستفادة من التطور الكبير الذي حققه المجتمع الغربي من خلال إرسال بعثات طلابية إليهم، و استقدَام خبراء ومدرسين؛ تم منحهم حصانة كبيرة، يقول: "ودفعوا لهؤلاء الخبراء والأساتذة الأجانب رواتب مرتفعة تفوق أحيانا أجور الوزراء اليابانيين" (بونعمان، 2014، ص 124). كان الرهان من خلال هذه السياسات؛ نقل المهارات والخبرات الأجنبية المتقدمة إلى اليابان وتمليكها للعناصر الشابّة، وما يميز التجربة اليابانية أنها أصرّت على إدخال التعديلات والتغييرات الجزئية أو الكلية على التكنولوجيا الغربية بعدما تم استيعابها. فكان الإنسان - بهذا- أعظم اكتشاف لليابان، حيث إن "كل يد ينبغي أن تعمل" وفي هذا الصدد أشار "أدوني رايشاور" مؤلف كتاب: "اليابانيون" عن سر نهوض اليابان بالقول: " بأن سر نهوضها شيئان، وهما؛ إرادة الانتقام من التاريخ وبناء الإنسان الذي كرسه نظام التعليم والثقافة" (بونعمان، 2014، ص 128).

وفي الفصل الثالث من الكتاب، تحدث الباحث عن رهانات التفكير في النموذج الياباني، مستحضرا سرّ نجاح اليابان الذي يعزوه إلى حفاظ البلاد على أصالتها، وإلى تمسّكها بتراثها الثقافي، وعدم تخلّيها عن كينونتها لصالح القيم الغربية، وفي هذا السياق لمّح إلى الفرق الجليّ بين تعامل المسلمين مع الغرب وتعامل اليابانيين معهم؛ حيث تشبث المسلمون بالقشور وتركوا اللب، على عكس اليابانيين الذين ركزوا على اللب بدلاً من القشور واستندت تحليلاته في هذ الفصل عموما إلى أفكار مالك بن نبي، الذي قال: "إن اليابان وقف مع الحضارة الغربية موقف التلميذ ووقفنا منها موقف الزبون، إنه استورد منها الأفكار خاصة، ونحن استوردنا منها الأشياء خاصة...إن اليابان كان خلال سنوات (1868 – 1905) ينشئ حضارة وكنا نشتري بضاعة حضارة، فكان البون شاسعا والخلاف جوهريا"(بونعمان، 2014، ص 145).

وفي ختام الكتاب تناول آفاق التفكير في النموذج النهضوي، ملمحا إلى اعتبار الثقافة أساس التنمية، اندمج النموذج الياباني مع النسق الرأسمالي، لكنه احتفظ بمنظوره الخاص حول العمل والمجتمع، وقد عبرت عن ذلك ثورة الميجي، التي أسّست الاندماج الفعلي الإيجابي في النسق الكوني دون التخلي عن الأسس الثقافية، وركائز الهوية اليابانية، في وقت يقدّس فيه "العربي" الوافد ويحتقر الموروث، وقد وجه الباحث نقدا كبيرا للعقلية العربية التي تعيش تقهقرا حضاريا واضحا "فالعقل العربي مصاب بالكساح أهمها تكريس العقل باتجاه إعمال الوظيفة النقلية بدل الطاقة النقدية التحريرية"(بونعمان، 2014، ص 185). فكان أن تحول العقل العربي إلى "حاوي فوضوي" كما انتقد تجارب النهضة العربية التي اختزلت مشكلة "التخلف" ومسار "التنمية" لامتلاك القوة العسكرية لردع الاستعمار والتدخل الأجنبي بعقلية عسكرية غارقة في عبادة القوة، هذه الأنظمة الاستبدادية تكدس الأسلحة فقط في المخازن وتغرق مالية الدولة بالمديونية وإهدار الموارد. كما استند في هذه الأفكار إلى أقوال مالك بن نبي الذي ألمح إلى أن "أزمة العالم الإسلامي ليست أزمة الوسائل وإنما أزمة الأفكار"(بونعمان، 2014، ص 176). ونبه إلى فكرة "توطين العلم" وهو مفهوم طرحه رشدي راشد قبله، مُوضحا أن العلم هو السبيل الحقيقي لتحقيق النهضة.

3- في القيمة المضافة لهذا الكتاب

رغم أن إصدار الكتاب قديم نسبيا (2014)، إلا أن أطروحته لا تزال تحتل مكانة مهمة لاعتبارات تتعلق من ناحية بالتجربة النهضوية لليابان، التي وجدت في تراثها بذور النهوض، لذلك اهتمت بثقافتها الشعبية واعتبرتها جزءا من هويتها ومقوما من مقومات التنمية، وعلى الرغم من أن المجتمع الياباني كان يقوم على التراتبية والهرمية الاجتماعية، إلا أنه نجح إلى حد كبير في تكييف المواطنين مع فلسفة التنمية وجعلهم على اختلاف أصولهم وانتماءاتهم الإثنية والطبقية يشعرون بقيمة الانتماء إلى "أمة اليابان".

ومن ناحية أخرى "برغماتية" ونظراً للأوضـــاع غير المســـتقرة التي تعيشـــها معظم المجتمعات العربية والإســـلامية بســـبب الحروب والصـــراعات الإثنية والمذهبية، وضـــعف ثقافة حقوق الإنســـان في عدد من دولهـا، فـإن العودة إلى الأبحـاث التي تتنـاول التنميـة وتجـارب النهوض عبر العـالم أمر يفيـد المواطن والمسـؤول على حد سـواء. لذلك رأينا أن الكتاب يسـتحق إعداد قراءة في أطروحته، لنشـر فوائده، وأيضـا لتطعيمه ببعض التجارب التنموية الأخرى التي انخرطنا في دراســـتها منذ مدة، كالتجارب التنموية في الصين، والهند، والبرازيل، وتركيا وغيرها.

لقد تبين من هذه التجربة أن التنمية مشـروع دولة، تتجلى بالإرادة السـياسـية القوية وفق رؤية متكاملة وواضـحة، ثم تنزل عموديا إلى المواطنين عبر مؤســســات الدولة المختلفة - لاســيما المدارس والجامعات- لتصـبح قاعدة وأسـلوب حياة داخل المجتمع. وقد لا يكون ذلك ممكنا دون مراعاة تكييف برامج التنمية مع الثقافة المحلية والهوية الجماعية، فعنصـــر التكييف يمكن اعتباره من بين أهم ما ركز عليه البنيان التنموي لليابان كونه يجعل الإنسـان البسـيط ينخرط بكامل إرادته في فلسـفة التنمية ويصـبح قادراً على العمل وفق رؤية هذا المشروع التنموي أو ذاك، فيصبح الإنسان فاعلا أساسيا فيها. وهذه الجزئية عنصر تشـترك فيه التجارب الناجحة عبر العالم، كون الإنسـان هو أسـاس النهوض الحضـاري المنشـود لأي أمة من الأمم.

إن أطروحة الكتاب هي في العمق، رد على من يقر بأن النهوض يتم بالقطيعة التامة مع التراث، وانتهاج سـياسـات التحديث المسـتوردة وإلصـاقها على المجتمعات المحلية دون مراعاة للثقافة الشـعبية والهوية الجماعية، ورد – كذلك- على من يرى أن الحداثة الغربية نهضـت على أسـاس القطع مع التراث والثقافة الشعبية، إن الغرب الحداثي إبان عصر ازدهاره عاد إلى التراث اليوناني الكلاسكي ونهل منه، كما استفاد عبر اكتشـــافاته الجغرافية من الحضـــارات الأخرى، كما أبرز ليفي ســـتراوس في دراســـته حول (العرق والتاريخ) حيث وصـف فيها الحضـارة الغربية بكونها ذات تاريخ تجميعي، في مقابل المجتمعات ذات التاريخ السـاكن، (LÉVI-STRAUS ; 1973) هذه الثقافة التجميعية لدى الغرب جعلتهم يسـتفيدون من نتاجات الثقافات العالمية ومنهم المسلمون ولاسيما في عصر النهضة الغربية (Asmaa T. Mohamed and Attia ELKollaly 2021).

ونجد دراسـات أخرى لتجارب النهضـة أثبتت أرقامها وإحصـاءاتها الكمية نجاحا كبيرا في تحقيق أسـباب التقدم الحضاري رغم المشكلات التي واجهت انطلاقتها، والتحديات التي وقفت وما زالت تقف في طريقها، ونشير هنا على سبيل المثال إلى إمكانية الاستفادة من التجربة النهضوية لدولة البرازيل، خاصة في الجانب المرتبط بالتنمية الاجتماعية social development، حيث برعت في تطوير ســياســات وبرامج ذات أبعاد

اجتماعية لمعالجة ملفات الفقر والتباين المجالي والتراتب الهرمي الاجتماعي (صـــدفة محمد محمود، 2014).

بالإضافة إلى النموذج البرازيلي يبرز نموذج آخر في الهند والصين وجميعها من الدول المؤسسة لمجموعة "البريكس"، الاقتصـادية؛ وأبانت نتائج البحث في التجربة التنموية بالهند عن نجاح كبير قياسـا بظروف هذا البلد السياسية والتاريخية وبحجم السكان الذي يدنو من مليار ونصف،(أيمن يوسف و ووائل أبو حسن 2015)، أما التجربة الصينية فهي رائدة صناعيا ويمكن الاستفادة منها أيضا على المستوى الزراعي، خاصة أنها قامت بمشاريع ضخمة لتأمين الاحتياجات الضرورية التي تكفي سكان هذا البلد الذي يدنو من مليار ونصف إنسان، وأهم هذه المشاريع بالطبع سد الممرات الثلاثة الذي يعد أكبر سد هيدروليكي في العالم تم تشييده على نهر اليانغتسى، بالإضافة إلى المشروع المائي الضخم المتمثل في نقل الماء من الجنوب الريان إلى الشمال الضمآن، مما أتاح للصين بناء أساس زراعي قوي، بالإضافة إلى ذلك، شهدت هذه البلاد إقلاعا اقتصاديا ضخما، وفرت له الدولة كل الوسائل الممكنة لإنجاحه رغم حجم التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الصين (أحمد فاروق عباس، 2019).

والخلاصة هي أن نهضة أي بلد تربط أساساً بوجود تصورات ورؤى تنموية واضحة، يتقاسمها الجميع، بمن فيهم القائمون على مراكز صنع القرار والشركات والمؤسسات والباحثون والتقنيون والمواطنون العاديون، وينخرط الجميع في سلسلة من الإصلاحات الفردية والجماعية، وترتكز على خصائص ثقافة المجتمع وتحافظ على هويته وشخصيته الثقافية، وهي في سعيها لتحقيق التغيير المنشود منفتحة في حدود "النّفعي" على التجارب الأخرى لتستمد منها ما يفيدها في نهضتها دون أن يخل الانفتاح على مقومات الذات الجماعية. والشخصية والقيم الأصيلة للمجتمع.

خاتمة

في ظل الوضع الصعب الذي تعيشه معظم المجتمعات العربية والإسلامية، لا بد من إعادة النظر في العديد من القضايا الملحة ذات الأولوية، بما في ذلك نظام التأليف وطبيعة إصدارات المراكز البحثية في مجتمعاتنا. ويجب أن نتساءل عن مدى قيمتها وأهميتها للإنسان والأجيال القادمة. هذه الفكرة تدفعنا للربط بين العمل البحثي والأهداف المجتمعية، فما لم يكن هدف البحث هو الارتقاء بالمجتمع إلى الأفضل، فالعمل عليه ما هو إلا مضيعة للوقت والجهد. كما قال عبد الباسط عبد المعطي منتقدا بعض الاتجاهات التنظيرية في العلم.

وفي هذه السياق، يمكن تصنيف هذا العمل على أنه بحث في تجربة رائدة يمكن أن تفيد المجتمعات "التي تعاني من تأخر حضاري وتنموي" لأنه يحتوي على مواقف ورؤى وتحليلات وصفية لتجربة نهضة أمة اسمها اليابان، والعمل في النهاية يظل جُهدا فرديا محموداً يعود بالنفع على القارئ عموماً والقائمين على القرار السياسي والسيادي تحديدا (طُهَاة التّنمية) لأخذ العبر من هذه التجارب والاستفادة من نتائجها أملا في أن تقودهم شعلة الغيرة على خلق وإبداع نماذج خاصة تنطلق من صميم المجتمع وثقافته وتاريخه، منفتحة على التجارب العالمية الناجحة واستلهام العناصر المفيدة لبناء الركائز والمعالم الأساسية للتقدم والنهضة، لاسيما أننا نعيش في فترة تاريخية عصيبة يعاني فيها الجسد العربي والإسلامي من آهات التمزقات المذهبية والطائفية ويعاني منها العقل نوعا من الضعف، وتعيش فيه العديد من المراكز البحثية التهميش، وحيث أن الشعوب التي نهضت - وتجربة اليابان خير دليل - إنما لإيمانها بقدرة العنصر البشري على تجاوز الإكراه الذي فرضته الضرورة الجغرافية الصعبة والموارد الطبيعية النادرة، فكان الاستثمار في الإنسان نعمة بوأت اليابان موقعا حسنا كأمة متقدمة.

المراجع الداعمة للمراجعة

- أيمن يوسف و ووائل أبو حسن 2015 التجربة النهضوية الهندية (قراءة تحليلية نقدية في التطور التاريخي، المظاهر، المجالات الحيوية، المعيقات)، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت 2015
- احمد فاروق عباس التجربة التنموية في الصين الواقع والتحديات، 2019، https://jsec.journals.ekb.eg/
- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مجلة عالم المعرفة العدد44، 1981
- صدفة محمد محمود، التجربة النهضوية في البرازيل (دراسة في أبعاد النموذج التنموي ودلالاته)، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت 2014
- Asmaa T. Mohamed(a) Prof. Attia ELKollaly, *L'apport de la civilisation Islamique dans l'héritage,* Scientific Journal of Faculty of Arts 10 (1) 2021
- LÉVI-STRAUSS, *Race et histoire*, UNESCO PARIS 1973